



HAL
open science

Corinne Martin, Abderachid Kias

► **To cite this version:**

Corinne Martin, Abderachid Kias. Algerian Journal of Research and Studies, 2021, 4 (4), pp.12-28. <hal-04085545>

HAL Id: hal-04085545

<https://hal.univ-lorraine.fr/hal-04085545v1>

Submitted on 16 May 2023

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire HAL, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.

Téléphone portable et images mobiles. De nouveaux usages sociaux de la photographie chez les jeunes ?

CORINNE Martin

Universite de Lorraine, (France), corinne.martin@univ-lorraine.f

الهاتف المحمول والصور النقال: استخدامات اجتماعية جديدة للتصوير عند الشباب.

ترجمة: عبد الرشيد كياس*

جامعة جيجل، (الجزائر) rachidrachid1967@gmail.com

Translate by: Abd Al-Rachid Kias

University of Jijel (Algeria)

تاريخ الاستلام: 2021/07/31 تاريخ القبول: 2021/10/16 تاريخ النشر: 2021/10/25

ملخص: حققت الوسائل التكنولوجية الجديدة نجاحات باهرة في فترة زمنية قصيرة، وارتبط هذا النجاح بالانتشار المذهل لاستخداماتها على المستوى الفردي والاجتماعي بين كل الفئات الاجتماعية. ويعتبر الهاتف النقال أحد هذه الوسائل حيث عرفت استخداماته بوضفه جهاز اتصال وآلة تصوير طابعا خاصا عند الشباب. ومع التطور الذي تشهده الأسر الحديثة حدث انتقاء في الوظيفة الاجتماعية للتصوير باستخدامه كوسيلة لصيقة حاضرة في جميع المناسبات العائلية والاجتماعية تسجل الأحداث على شكل صور وفيديوهات يحتفظ بها كأثر لواقع كان حقيقة، وتسترجع كذكرى يمكن مشاركتها مع الأصدقاء والعائلة على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي لاسيما تلك التي تصف نشاطاتهم وتعبّر عن هويتهم في إطار مسار الفردانية والاستقلالية. وقد ساعدت الرقمنة في الاحتفاظ بالأحداث على الفور كصور تصبح مرجعا ودليلا على الانتماء للماضي الذي تلاشى والذي يمكن ان نعيشه ونكره مرة أخرى من خلالها، فهي متعة تم إخفاؤها في الماضي لكي نعيشها مرة أخرى في المستقبل وعلى الرغم من بعض العوائق التقنية مقارنة بألة التصوير الرقمية يضع المستخدمون أمامهم توجهها معينا يعبر عن عقلانية استخداماتهم. هذا المقال ترجمة لبحث قامت به كورين مارتان Corinne. Martin أستاذة و باحثة في علوم الاعلام و الاتصال يعد مساهمة علمية كبيرة مع الآباء المؤسسين لسوسيولوجيا الاستخدامات للوسائل التكنولوجية الجديدة في المجتمع الحديث. **الكلمات المفتاحية:** الهاتف النقال، التصوير، الشباب، الاستخدام.

Abstract: New technological means have achieved impressive successes in a short period of time. This success is linked to the great variety of their uses both individually and collectively among all social groups. The mobile phone is one of these means. Its use as a communication and photographing device has given it a special status among young people. And with all the development that modern families have witnessed, the social function of photography has evolved into a means companies all social occasions. People record events into photographs and videos to capture memories of real events and share them with friends and family on social media, especially those events which describe their activities and express their identities on the path of individuality and autonomy. Digitalization has helped in storing events immediately as photographs that become a reference and evidence on belonging to something in the past that fade away but can still be lived again through photographs. A captured event is a thrill that was hidden in the past to be lived again in the future. And in spite of some technical inconveniences compared to the digital camera, users have a given perspective that shows the rationality of their use.

This article is a translation of a research work carried by **Corinne Martin**, a professor and researcher in media and communication sciences. It is considered as a significant scientific contribution to the sociology of using new technological means in modern society.

Keywords: mobile phone, photography, youth, use

يجتاز الهاتف المحمول مكانة خاصة ضمن تكنولوجيات الإعلام والاتصال بمعدل تجهيزات انتقل فيما يقارب العشرية من الزمن من 10 إلى 80% من سكان فرنسا. لتفسير هذا النجاح قدمت فرضيات مختلفة. وانطلاقاً من كوننا منخرطين في سوسيولوجيا الاستخدامات وعلم اجتماع العائلة سلطنا الضوء على دلائل مختلفة لاستخدامات الأصوات والرسائل القصيرة سواء عند المراهقين أو عند آبائهم (Martin, 2007). فبالنسبة للمراهقين يعد الهاتف النقال أولاً أداة تواصل ومؤانسات ودية وهو أيضاً أداة للتعبير عن الهوية والاستقلالية، يدخل منطق استخدامه في مسار الفردانية في الأسر المعاصرة. إنه في النهاية شيء شخصي ومشخص تحول إلى شيء حقيقي لصيق بالجسد. إن الشباب خاصة الفتيات يجبن استعمال الهاتف، ففي جوان 2008 كان 99% ممن هم بين 18 و24 سنة و76% ممن هم بين 12 و17 سنة يحملونه¹. وفي نهاية سنة 2000 ظهرت الهواتف المحمولة الأولى المجهزة بألة تصوير مدمجة، وهذا الالتقاء بين الهاتف المحمول كوسيلة اتصال وآلة التصوير كوسيلة تسجيل، هو ما سنسعى لاستكشافه من أجل فهم الاستخدامات الاجتماعية الجديدة للتصوير بالنقال عند الشباب، وهو مناسبة للعودة إلى القضايا الأساسية للتصوير واستخداماته.

أولاً إن ممارسة التصوير الفوتوغرافي تنخرط في زيادة ممارسات الهواة بشكل عام، وحسب (le Credoc)² كان 81% من الفرنسيين سنة 2002 قد مارسوا التصوير الفوتوغرافي الهاوي، ثم انتشرت هذه الممارسة في جميع الفئات العمرية الأخرى خصوصاً عند الشباب (93% لمن هم تحت 25 سنة في سنة 2002 مقابل 71% في سنة 1989). بعد ذلك في عشرية واحدة (1997-2007) وهي نفسها التي تبوأ فيها الهاتف مكانه، فإن الرقمي حل محل الفيلمي: حيث منحنيات البيع ازدادت ارتفاعاً كلياً، وثلاثي الأسر خلال سنة 2007 أصبحت مجهزة بألة تصوير رقمية APN³. هذا بالنسبة للإحصائيات. أما من جانب الممارسات فإن بيار بورديو وآخرون (1965) ومنذ 40 سنة قد سلطوا الضوء على الوظائف الاجتماعية للتصوير التي تقوم أساساً على التسجيل و اكتناز ذكريات الأشخاص و الأحداث الاجتماعية التي تعد اجتماعياً مهمة (المرجع نفسه ص 26)، وقد ظهر أيضاً " أن ممارسة التصوير الفوتوغرافي لا توجد و لا تستمر أغلب الوقت إلا في وظيفتها الأسرية أو أفضل من ذلك، من الوظيفة التي تعطيهما لها المجموعة الأسرية وهي الاحتفال و تخليد لحظات عظيمة للحياة العائلية ، و باختصار تعزيز التكامل و التآلف بين افراد المجموعة العائلية بالتأكيد على شعورها بذاتها و بوحدها". (المرجع نفسه ص 39). إن العديد من الأسئلة تطرح: ما هو التطور الذي شهدته الممارسات الفوتوغرافية زمنياً في إطار التطور السوسيولوجي للأسر الحديثة (مسار الفردانية)، ثم مع مجيء الشباب كفاعلين

*كورين مارتان أستاذة محاضرة في علوم الإعلام والاتصال وباحثة في CREM مركز البحث حول الوسائط (EA3476) جامعة بول فيرلين ميتز. بريد إلكتروني: corinne.martin@univ-metz.fr

¹ Credoc، 2008، انتشار تكنولوجيات الإعلام و الاتصال في المجتمع الفرنسي CGTI (المجلس العام لتكنولوجيات الاعلام) Arcep/ (سلطة الضبط للاتصالات الالكترونية و البريد) متاح على www.arcep.fr

² دراسة تم إجراؤها لـ API جمعية ترقية الصورة، الملخص متاح على www.sipec.fr، و sipec؛ هي نقابة شركات الصورة والتصوير والاتصال.

³ حيث 1 من كل 5 أسر متعددة التجهيز. سنستخدم الاسم المختصر APN ليرمز لكاميرا التصوير الرقمية مقابل الهاتف المحمول الحامل لجهاز التقاط الصورة.

في هذه الممارسات، وأخيرا مع الاستخدام الجديد لهذا الجهاز المتمثل في الهاتف المحمول؟ إلى ماذا يمكنها هذه الأداة المصطنعة المدججة والمتاحة بشكل دائم تحويل هذه الممارسات؟ ماهي المواضيع التي ستكون مفضلة لدى الشباب؟ متى يمارسون وفي أي مناسبة؟ هل أن زيادة الممارسة وزيادة فرص التقاط الصور مع فكرة العفوية التي يؤكد الهاتف أفضليتها ستكون كافية لوقوع تحويل جذري للوظيفة الاجتماعية للتقاط الصور؟ وهل سنشهد تدينسا لهذه الممارسات؟ وبالمثل فإن كون هذه الصور الرقمية في المتناول (بشكل مستمر في ذاكرة الأداة المصطنعة) وحركتها على مستوى شبكات المؤانسة تمثل الأبعاد الأساسية للاستكشاف عند الشباب. ما هو الوضع الذي ستخذه هذه الصور الرقمية والنقالة إذن؟ وهل ستصبح أكثر هشاشة؟ (Schaeffer, 1987).

إذا كان بيار بورديو Pierre Bourdieu يعتبر التقاط الصور تحويل للواقع من حيث أنها مشفرة ومقننة بشكل بارز (Dubois, 1990)⁴. فإن رولان بارث Roland Barthes (1980) في " الغرفة المضيفة: ملاحظة حول التصوير الفوتوغرافي" سيفتح بطريقة أو بأخرى الطريق على منظور آخر، حيث يصبح التقاط الصور هو أثر للواقع، ففوة شهادتها ستصبح أساسية مع الكلمة الشهيرة " كان " دليل على ماض حقيقي تشهد عليه والذي يجعل منها "رسالة من غير تشفير" في جوهرها وفي نشوئها الذاتي (مثل البصمة الناتجة عن عملية فزيائية كيميائية) ولكن هذا لا يمنع من تشفيرها وترميزها عند استقبالها. من انتاجها حتى استقبالها: يرفع فيليب دوبوا Philippe Dubois شعار استحالة التفكير في الصورة خارج الحدث الذي وقعت فيه، إنها في طبيعتها المشتركة صورة/حدث بشرط أن لا يكون هذا الحدث أو الفعل محدودا بشكل تافه في حركة الانتاج الفعلي للصورة (حركة التقاطها)، بل يتضمن أيضا فعل استقبالها و تأملها- كما يؤكد الكاتب-«(المرجع نفسه ص 10). ويبدو لنا أنه من الضروري التفكير في هذه الصور في جميع مراحل عملية التصوير الفوتوغرافي من الالتقاط والوضعية إلى التخزين والاحتفاظ لمشاهدتها وعرضها وأخيرا إلى دوراتها على مستوى الشبكات الاجتماعية. إنه لو كان مسار فعل التصوير الفوتوغرافي الذي تم التفكير فيه من طرف فيليب دوبوا استخدم للتفكير في التصوير الفيلمي لراهننا على أن التفكير انطلاقا من هذا التحليل يسمح بتحديد الاختلافات، لاسيما على مستوى الظرفية التي يمكن ان تترتب على التصوير باستخدام الهاتف المحمول (و الرقمي بصفة أكثر عمومية) ..

المنهجية متداخلة الاختصاصات، وقد تم توزيع 252 استمارة على طلبة DUT* تقنيات التسويق والليسانس 3إعلام واتصال (80% منهم بين 18 و 21 سنة و60% منهم إناث مقابل 40% رجال). هذه العينة ليس لها أي تضخيم إحصائي، إنها تستهدف جمع أسماء مستعارة pseudonymes ومعلومات هاتفية للجزء الكيفي من البحث، لكن بعض الأسئلة المفتوحة مكنت من معالجة أولية كيفية. من جهة ثانية في المرحلة

⁴ بعد الخطاب الأول، تم استخدام المحاكاة، التي اعتبرت منذ بداية القرن التاسع عشر التصوير الفوتوغرافي مرآة لحقيقة.
*DUT (Diplôme Universitaire de Technologie)

الكيفية، فإن 20 مقابلة نصف موجهة تم القيام بها (حوالي 1سا) حول استخدامات الصورة على الهاتف النقال/ آلة التصوير الرقمية APN⁵ والفيديو.

أخيرا فإن بعض عناصر المسح الذي قامت به TNS Sofrès (المؤسسة الفرنسية للأبحاث والمسوح) الذي أجري في أوت 2007 قد أمكن استغلالها. في الجزء الأول نتساءل عن تحول الوظيفة الاجتماعية للتصوير بالنقال بمعرفة خصوصية ولا خصوصية الاستخدامات الاجتماعية بتفكيك مختلف مراحل عملية التقاط الصور، ومن خلال وضعها مع التصوير بآلة التصوير الرقمية APN، سيتم اكتشاف الفرضية المتعلقة بنوعية وحالة هذه الصور التي نعتبرها غير آمنة ومعرضة للزوال. في الجزء الثاني سنعالج مسألة عقلنة الاستخدام، أما الجزء الثالث فيسمح بالتعرض لبعض الخصائص الأكثر تميزا لصور النقال هذه من خلال الإخراج الفني للذات بالفيديو.

1. تحول جذري للوظيفة الاجتماعية لالتقاط الصور:

هناك نقطة انطلاق تفرض نفسها: إن التقاط الصور بواسطة النقال هي ممارسة واسعة بين الشباب، ووفقا لـ TNS Sofrès فإن 74% ممن هم بين 18-24 سنة يقومون بذلك. وفي عينتنا كانت نسبة من يقومون بها 95% وذلك من 1 إلى 5 مرات أسبوعيا (أو أقل بيوم واحد)، وعلى سبيل المقارنة فهي أقل بكثير من الرسائل القصيرة SMS لأنهم يرسلون ما بين 30 و48 أسبوعيا⁶. ستتم متابعة اللحظات المختلفة لعملية التقاط الصور ومعرفة قضاياها من خلال مسألة الذكرى ثم الالتقاط، الوضعية la pose، رؤيتها وإطلاع الآخرين عليها، ثم الاحتفاظ بها، ثم تخزينها وأخيرا تداولها وتشاركتها. لكن لنبدأ بالسؤال: ماذا يصورون؟

1-1 - المؤانسة الودية تأخذ المقدمة:

من خلال سؤال متعدد الاختيارات استحضرت المبحوثين من طرف TNS sofres⁷ موضوعات الصور التي تم التقاطها. فالسؤال "هل أخذت صورة أو بورتريه لمجموعة (بما فيها صور العائلة)؟" كان في المقدمة بـ 81% من الإجابات ولكن دون القدرة على تمييز العائلة عن مؤانسات الصداقة. من جهتنا طلبنا من الطلبة أن يصفوا بالتفصيل صورتين مفضلتين تم أخذهما بواسطة النقال، وهكذا جمعنا عينة من 484 وصفا للصور تم تصنيفها حسب الموضوع:

أصدقائي أو صديقاتي، أنا وأصدقائي أو صديقاتي، حبيبي أو حبيبتي، أنا وحبيبي أو حبيبتي، تمثل بالنسبة لهم 50% من الصور المفضلة. أما موضوع "العائلة" فيأتي في المرتبة الثانية بنسبة 20% تقريبا، مع ملاحظة أيضا أن المبحوثين موجودين هم أنفسهم في ثلث صورهم المفضلة. وانطلاقا من التحليل السوسولوجي لبيار بورديو

⁵ سنستخدم هذا الاختصار APN للدلالة على آلة التصوير الرقمية مقابل النقال لان الاستخدام الشائع لا يحتفظ بمصطلح الكاميرا الرقمية لتسمية الجهاز.

⁶ تم إجراء هذا الاستطلاع بناء على طلب من الرابطة الفرنسية لمشغلي الهواتف النقالية مع ملاحظة أن هذا المسح هو تكملة للبحث الكيفي "الهاتف النقال اليوم استخدامات وسلوكيات اجتماعية" الطبعة الثانية 2007 لجوال منراث وأن جارجيون. متوفر

على: www.afom.fr

⁷ Credoc، 2008، مرجع سابق : ثلاثون رسالة قصيرة أسبوعيا لمن هم بين 18-24 سنة و48 أسبوعيا لمن هم بين 17/12 سنة.

(1965، ص 39) حيث " ممارسة التصوير الفوتوغرافي لا يوجد ولا يدوم أغلب الوقت إلا من خلال وظيفته العائلية"، فالتطور واضح، فمن جهة يوجد تزايد في ممارسة التصوير والممارسة أكثر كثافة وتتجاوز المناسباتية⁸ كما رأى بورديو.

بالمثل يستذكر جيوفري باتشن Geoffrey Batchen (2008) عدد كبير من اللحظات التي حدثت في العائلات⁹ والتي «تشكل الأنواع الأكثر شعبية للتصوير والتي لا يمكن الاستغناء عنها» (2008، ص 2). ثم إن مسار الفردانية الحاصلة داخل العائلات المعاصرة (تحيين من طرف علماء الاجتماع العائلي) والذي تصحبه علمنة أحداث الحياة الخاصة / الأسرية قد غيرت منظورات التصوير الفوتوغرافي. تقدم إيرين جوناس Irène Jonas (2008) كيف تطور التصوير في العائلة و أصبح "طبيعياً"، فما يسمى بالصور العاطفية (تبحث و تشارك لحظات حميمة و أصيلة¹⁰)، أصبحت ذات أهمية أكبر من الصور الأكثر "تقليدية". هذا التطور متجذر هو أيضاً في التطورات التكنولوجية، و مع وصول الرقمنة (تزايد عدد الصور: من 4 إلى 5 مرات أكثر من التصوير الفيلمي (Jonas, 2008)). ومع الهاتف المحمول كأداة شخصية وكأداة استقلال ذاتي بالنسبة للمراهقين (Martin, 2007) وجدت فردانية ممارسات التصوير الفوتوغرافي حصيلتها¹¹: إنها إذن المؤانسات الودية التي تأخذ مركز الصدارة في المشهد عند الطلبة الشباب، مما يدل على تطور حقيقي، على الرغم من أنه ليس فيها ما يفاجئنا بالنظر لاستخدامات أخرى للهاتف المحمول عند الشباب.

أخيراً، الضحك، الدعابة، مشاهدة التهريج، خلال مواقف طريفة ومذهلة مليئة أحياناً بالحيل، متفشية بشكل أكبر في الفيديوها (أنظر أدناه)، فنحن إذن بعيدون عن الأوضاع التي وصفها بورديو حيث الأفراد تحت غطاء عاداتهم الإجتماعية. والتدنيس والتسفيه لا يمكن إنكارها إذ لا يجب إغفال عنصرين. فمن جهة إلى جانب الصور اليومية المبتدلة بعضها متعلق بالمؤانسات الودية تتكون أيضاً من أحد أشكال تكريس ذلك، ليس بشكل رسمي ولكن على الرغم من ذلك يعد تكريسا. هذه لوريان تصف الصور على هاتفها النقال: "وجبة نهاية السنة الجامعية" و "عطلي الأسبوعية الأولى مع حبيبي في ديزني لاند". من جهة أخرى فإن العائلة لم تحتف تماماً عند هؤلاء الشباب، على العكس من ذلك تستحضر كلارا مع آخرين إحدى الصورتين المفضلتين: "اجتماع أسري يجمع أجيالا مختلفة حول كعكة". كثير من الأحداث التي تعتبر اجتماعيا مهمة ذلك أنها لا تزال تحافظ على رثم حياة الصداقة والحياة الأسرية، ومن المهم القيام بتصويرها للحفاظ على أثرها.

⁸ أغلبية (54%) من الصور المفضلة تجمع صوراً يمكن اعتبارها "لكل الأيام" مقابل 20% للمناسبات و بين الأصدقاء و 15% للعطل ثم 10% للمناسبات العائلية.

⁹ كمؤرخ فني متخصص في تاريخ التصوير الفوتوغرافي، يلاحظ جيفري باتشن أن التصوير العائلي، كنوع، غالباً ما يكون غائبا عن قصص التصوير الأكثر شيوعاً من حيث أن هذه الصور لها "قيمة أقل في سوق الأفكار وكذلك في سوق المنتجات (المرجع السابق ص 4). ولكن مع الرقمية أصبحت هذه اللقطات بالفعل شيئاً من الماضي

¹⁰ وبالمثل فإن تمثل الطفل وقد أصبح شخصاً كاملاً يصبح مركزياً.

¹¹ إن الفردانية تسير مع تنامي تعدد أجهزة التصوير الرقمي عند العائلات

2.1 الذكرى - الأثر:

"باختصار، الانخراط في المرجع" يقول رولان بارث (1980, p. 18) Roland Barthes هو موضوع فكرة (le) noème الصورة و جوهرها، يقوم على كلمة شهيرة و هي "كان" (المرجع السابق ص 120) كاتبناق للماضي الحقيقي و بالتالي شهادة على كل من الواقع و الماضي حيث يظهر أن سلطة التأصيل و تأكيد الوجود و الأثر بأي شكل لها الأسبقية على قوة التمثيل، و هو ما يسمح لرولان بارث بالتأكيد على "أن الصورة رسالة بدون تشفير" (حتى ولو كان هناك في خطوة ثانية ترميز بالطبع). من جهته يوضح فيليب دوبوا Philippe Dubois (1990) كيف أن الصورة علامة أو رمز أخذ من الفهرس (بالرجوع إلى سيميائية بيرس Ch. S. Peirce) هي بديل لرمز له علاقة عن طريق الاتصال الجسدي مع المرجع (أي البصمة الفزيائية والكيميائية في التصوير الفيلمي)¹². وإذن هل ستصبح الصورة دليلا على الوجود مأخوذة من السجل البراغماتي. ومع الرقمية فإن واحدة من التطورات الأساسية تكمن في الولوج اللحظي للصورة (الظهور على الشاشة فور الالتقاط)¹³، حيث يصبح بعدها التمثيلي في خدمة الواقع، وبالتالي يشارك في بنائه. في الواقع فإن اللحظات الثلاث: الحدث évènement الإدخال la saisie الاستقبال réception تتزامن (جوننا 2008، ريفيار 2006). ولكن حتى لو وجدنا أنفسنا بالتأكد، أمام صور رقمية متاحة بطريقة لحظية فإن هذه الإشكالية حول الأثر والماضي قد وجدت صدى قويا عند الباحثين سواء في الأسئلة المفتوحة للاستمارة أو في المقابلات، كلها تحدثت عن هذه الفكرة المتكررة " الاحتفاظ بالأثر" لحدث أو لآخر في حياتهم. إن خطاب الباحثين ينزلق دائما بشكل إرادي من الصورة على الهاتف المحمول إلى الصورة على آلة التصوير الرقمية APN بإلغاء كل تمييز بينهما في هذا الصدد. وهكذا بالنسبة لأوريليان Aurélien "إنها حقيقة فكرة مساعدة الذاكرة على التذكر" الصيغة جميلة... بالنسبة لأرنود، الذي أطلق عليه رفاقه "paparazzi" لأنه يمارس التصوير بسعادة (باستخدام الهاتف المحمول كما بآلة التصوير الرقمية):

"بالمعنى الدقيق للكلمة، إذا عشنا " الحدث" مرة واحدة فقط نعيشه بشكل جيد، و لكن في نفس الوقت نلتقط صورة، لذلك فالأمر يبقى رائعا، وبعد ذلك يمكننا تذكره عدة مرات، لذلك نرى بعضنا البعض مرتين¹⁴، ثلاث مرات، أربع مرات، بعد ذلك يكون لدينا انطبعا لعيشه، في حين لو أننا عشنا مرة واحدة ولم نلتقط له صورة، ومع مرور السنين تتلاشى هذه اللحظة بالفعل..."

"إن اللحظة تتلاشى بالفعل" هذا يشهد على بعد الصورة كمؤشر: فالارتباط المادي بين الحدث / المرجع والصورة يبدو واضحا. وفي الحقيقة بدون هذه الأخيرة فإن الحدث نفسه هو الذي سيمحي وبالتالي سيختفي الانتماء إلى الماضي. وهكذا يبدو أن الصورة وحتى الرقمية منها ومع الدعامة المادية الوحيدة للجهاز التقني التي

¹² بينما تحافظ الأيقونة على علاقة تشابه مع المرجع وفي حالة الرمز تتحدد العلاقة بواسطة الاصطلاح العام

¹³ لكننا ننسى بسرعة أن (كاميرا فورية التطهير (le polaroid) الذي كان أول جهاز سحب لحظي تم اختراعه أواسط القرن 20 في الو.م.أ.

¹⁴ سوف نلاحظ الغموض الحاد المتمثل في "رؤية بعضنا البعض مرة أخرى"، والعيش مرة أخرى ولكن أيضا في رؤية بعضنا البعض/ إعادة رؤية بعضنا البعض صورة رائعة إذا كانت هناك واحدة.

هي الهاتف النقال تكون أثرا، في حين أن الأمر يتعلق بعيش و إعادة عيش مرة أخرى - من خلال مشاهدة الصور الفوتوغرافية وحدها - عددا غير محدود من المرات - الحدث لمنعه من التلاشي و الزوال بفعل الزمن. «إن كون التصوير الفوتوغرافي يمكن من إعادة إنتاج و بشكل غير محدود ما كان فقط مرة واحدة " في الواقع " و لا يتكرر أبدا يضع المغالاة على ما هو خاص ومتمل (ماكميلان 2008 ص 48). نستطيع أن نلمس مبدأ اللذة في التكرار و بواسطته خارج الواقع ، ما يجعل من الممكن إنهاء السؤال المؤسف المتمثل في الموت و مضي الوقت. " إن المتعة تأتي عبر الصورة: هذا هو التحول الكبير " يقول رولان بارث (Barthes Roland 1980 ص 182). هذه الصور أخذت لتشارك لحظة الحاضر، ولكن أيضا تحسبا واستباقا للمتعة التي سوف تقدمها في المستقبل، مما يسمح بالغوص في الماضي مرة أخرى رجوعا إلى زمن التقاطها وإلى وضعية الالتقاط.

3.1. التقاط الصورة، وضعية الالتقاط:

يمثل الهاتف النقال وسيلة حقيقية مدمجة مع الجسم (مارتان 2007)، إنه شيء محمول دائما لا يفارقنا أبدا. بهذا المعنى يمكن أن نفترض أنه يعزز عفوية التقاط الصور، من خلال التطور نحو هذه الصور العائلية "طبعيا" كما تعبر عن ذلك بكل دقة "إيرن جونا" (2008)، "الصورة الملتقطة حية" لحظة فريدة تعكس العفوية و الأصالة، تميل إلى أن تحل محل الصورة الموضوعية للأخذ-لأفراد متجملين بلباسهم الاجتماعي - كما وصفها بورديو (1965). يبدو أن التطور لا جدال فيه فعلا، لكن يمكن للمرء مع ذلك أن يتساءل إذا كان هذا البحث الخاص بالمفرد والفريد بالرغم من أن المعايير مختلفة يعد جديدا حقيقة ولا يرهن حقيقة التصوير الفوتوغرافي بأكمله. ألم يذكر والتر بنيامين (1931) Walter Benjamin هذه الرغبة التي تسكن المصورين الفوتوغرافيين (خصوصا المحترفين) لالتقاط اللحظة¹⁵، ما لا تستطيع العين إدراكه و الذي يسميه " اللاشعور البصري"؟

على اية حال في العينة التي لدينا يفرض هذا الخطاب نفسه بقوة عند أغلبية المبحوثين ويبدو كأنه نمطيا: الكل يستحضر هذه الفرصة السانحة للتصوير " على الفور" عندما " تأتي الفرصة" مما يدل على أن أخذ الصورة "على السريع" هو المعيار المفروض، وفي المقام الثاني يمكننا أن نتصور أن الهاتف المحمول سيضعف من فرص التصوير الفوتوغرافي هذه. وبالتأكيد ولو أنه مع الفيلم الفوتوغرافي يستحضر فيليب دوبوا ما يسميه الممارسات القهرية للتصوير الفوتوغرافي التي تستمد قوتها من علاقتها الأصلية بوضعها المرجعي (دوبوا، 1990، ص 80): حضور يؤكد الغياب، غياب يؤكد الحضور. ولحظة الالتقاط تعمل على إبراز إشكالية الحضور / الغياب: المفارقة في نهاية المطاف حيث يختفي الموضوع في اللحظة التي التقطت فيها الصورة¹⁶ وهكذا يتم حفظ الموضوع من الزوال (إنها الصورة التي هي ذكرى ستصبح غائبة) عندما نجعلها تختفي... وهذا هو السبب في أن هذه الممارسات القهرية متأصلة في فعل التصوير الفوتوغرافي، وعلى الرغم من أنها أصبحت أكثر وضوحًا هذه الأيام، إلا أن السبب موجود في جانب التأثير الرقمي بدلاً من جهاز الهاتف الخليوي الوحيد. دعونا الآن نحلل هذه اللحظة الأخرى

¹⁵ يمكننا أيضًا التفكير في "اللحظة الحاسمة" للمصور هنري كارتية بريسون Henri Cartier-Bresson
¹⁶ بيتر فيليب دوبوا (مرجع سابق ص 89) أسطورة أورفي الذي لم يتحكم في نفسه مدفوعا برغبته ومخالفا الممنوع راكبا كل المخاطر عندما نظر إلى زوجته أورديس فرأها. وفي تلك اللحظة التي تعرف عليها بصره واحتفظ بها في رمشة عين أعغمي عليها. كذلك فأى صورة بعد التقاطها تعيد موضوعها إلى عالم الأموات. ماتت لأنه تمت مشاهدتها"

المترابطة مع الالتقاط وهي لحظة الوضعية (la pose). إن فيليب دوبوا (المرجع السابق) يناشد *Meduse كل أولئك الذين يلتقون بنظرها يجردون أنفسهم على الفور مجمدين ومرتعبين. لذا يصبح السؤال بسيطاً: مع الصور الملتقطة على الفور، حيث سيعزز الهاتف المحمول العفوية في عملية التصوير الفوتوغرافي، لا ينبغي أن تظهر مشكلة الوضعية، ومع ذلك فقد أثار المبحوثون بشكل عفوي للغاية عند المقارنة مع الفيديو أنهم وجدوا أن هذا الأخير أكثر حيوية ومفعماً بالحياة بسبب حضور الأصوات وكذلك صوت الحركة. وهكذا بالنسبة لنادية: "إن الفيديو ينقل المظهر العاطفي الذي تحطمه الصورة لأنها جامدة" لذلك يبدو أن مفهوم الصورة الجامدة مازال يؤثر على الصورة الرقمية. أما بالنسبة لوريان التي تقول عنها: "أنا صورة كثيراً" فهي تتحدث عن أمسيات مع صديقاتها: "الجميع يقول أنني أزعجهم لأنه حقيقة أنني كثيراً ما أقوم بالالتقاط الصور، حسناً إنها تقطع اللحظة على أي حال، حسناً ونحن نضحك ثم "انتظروا لا تتحركوا تماماً! سألتقط صورة!"

لقد تطرقنا لتطور صور العائلة بما هو طبيعي التي رسمتها إيرين جوناس (2008) التي تشير في "الوداع للطائر الصغير الذي سيخرج" إلى الصور العاطفية الجديدة. حيث يبدو لنا أن هذه الصور العفوية والأصيلة الملتقطة "على السريع" للأفراد هي في الواقع ليست إلا انعكاساً للمعايير الجديدة التي تحكم العلاقات داخل الأسر المعاصرة: "كن على طبيعتك وكن أصيلاً" (ومع كل ما يقتضيه هذا الأمر من ابتكار و بناء الذات باستمرار يمكن ان ينطوي على تناقض و ارهاق)¹⁷

لذلك، باختصار، هناك العديد من صور الحفلات التي التقطت على الفور من قبل هؤلاء الشباب، صور مسروقة لأصدقاء يحتفلون (غالباً تحت تأثير الكحول، انظر إلى البعد المضحك والمذهل)، ولكن هناك أيضاً صور أخرى التي لا تزال دون إجابة، حين يكون الأهم هو أن تكون المجموعة بأكملها معاً لتخليد اللحظة،¹⁸ حيث نرى أن السؤال المطروح حول وضعية التقاط الصورة لم ينته بعد حتى مع ظهور صور النقال. لكن ماذا سيحدث بعد ذلك؟ ماذا سيفعل الشباب بهذه الصور؟

4.1 تخزين الصور و حفظها:

إن 22% فقط من الشباب حسب (TNS Sofrès) يقومون بتخزين¹⁹ هذه الصور على أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم، و 3% فقط يقومون بطباعتها. خلال المقابلات ظهر أن العائق التقني له تأثير ومنتشر بكثرة لأنه يمثل مشكلة حقيقية في نقل صور النقال إلى جهاز الكمبيوتر، وبالنسبة للذين نجحوا في هذا النقل (عن طريق الكابل أو البلوتوث) فقد كان من المثير للاهتمام ملاحظة أن طرق التصنيف متميزة إذ في الواقع يتم تخزين الصور المأخوذة من المحمول عادة "مجمعة" في ملف واحد يسمى "محمول" في مقابل تلك التي مصدرها آلة التصوير

* ميدوسا أو ميدوزا بالإنجليزية: Medusa، باليونانية القديمة: Μέδουσα بمعنى "الحارسة، الحامية" بالإضافة إلى ذلك، فهي تُدعى أيضاً غورغونة أو غورجونة أو جرجونة بالإنجليزية: Gorgo ويعني "المُرعبة أو المُخيفة أو المُفزعة". هي إحدى الغورغونات الثلاث، اللواتي يُحوّلن كلَّ مَنْ يقع نظرهنَّ عليه إلى حجر. " ميدوسا/https://ar.wikipedia.org/wiki/ميدوسا (المترجم)

¹⁷ أنظر: ألان إهرنبرغ (1998) التعب من أن تكون ذاتك، باريس، جاكوب

¹⁸ ليس علينا إلا أن نلاحظ في الأماكن السياحية الصور التي يتم التقاطها في عطل مجموعات الأصدقاء والعائلات لنرى مدى بقاء وضع التصوير، مع العلم ان صور العطل هذه هي جزء من الصور التقليدية (بما يتماشى وتحليلات بورديو) إلى جانب التحليلات الأكثر عاطفية.

¹⁹ بينما يعتبر التخزين المفرط (أكثر من 60% من الصور الملتقطة، راجع مقياس API 2007) هو المعيار بالنسبة للصور على APN آلة التصوير الرقمية.

الرقمية APN المصنفة والمرتببة في ملفات فرعية حسب الحدث والتاريخ (مرة أخرى بعد المرجع في العمل). باختصار هل العائق التقني يعمل لوحده أم أنه شكل من أشكال الخصوصية التي تظهر، حيث أن الصور الموجودة في المحمول لم تكن بهدف الأرشفة (ريفير، 2006) على عكس ما حدده بوردو (1965)؟ ومع ذلك لاتزال هناك مفارقة: فقد أشار البعض إلى استحالة محوها مثل لوريان التي قالت: " سأشعر وكأنني ربما أحو ذكرى، لا أعلم إنه أمر نفسي "

(دائما يلتزم هذا المرجع.) في عينتنا الصغيرة بدا لنا أن المعيار يتوقف على تحويلها قدر المستطاع إلى الكمبيوتر، ولكن نادرا ما يتم محوها باستثناء الصور الموسومة بالأقل قيمة (أنظر أدناه)، ولكن يمكننا أن نتساءل مع إيرين جوناس (2008) ما مصير هذه الصور على جهاز الكمبيوتر، وماذا سيفعل الأفراد والعائلات بما؟ هل ستحدد فترة حياتها بمدة حياة هذه الدعائم (الكمبيوتر والهاتف النقال)؟ ماذا سيحصل لذاكرة الأسرة التي تفترض الفرز والتصنيف والاختيار؟ على أي حال فإن فرضية صورة مهمة /صورة يمكن التخلص منها تبدو لنا تستحق الاستكشاف في أبحاثنا المقبلة. في الوقت الحالي تظل هاته الصور في الهاتف المحمول وبالتالي سيكون بالإمكان مشاهدتها وعرضها.

5.1 مشاهدة الصور وعرضها:

إذا كان الهاتف المحمول عبارة عن شيء شخصي جدا فهو أداة لتحقيق الاطمئنان (مارتان 2007)، فمن المؤكد أن وجود صورهم في هواتفهم المحمولة معهم دائما يعد بعدا مهما لا يمكن إنكاره بالنسبة للمبجوثين: الاطمئنان، لذة امتلاكه، ربما القليل من كل هذا في نفس الوقت. لقد تحدث كل من جوال منراث و آن جارجيون Joëlle Anne Jarrigeon & Menrath (2007) عن " المتحف الحميمي " و لكن يبدو لنا أننا في ترتيب الذاكرة أكثر منه في التراث. هل هذا إذن ألبوم رقمي²⁰؟ يحدد دايسوكي اوكاوي (2004) النوع الأول لاستخدام الصورة على المحمول و الذي يسميه " الأرشفة الشخصية " التي تمثل مصدرا لبناء الهوية الشخصية، إذ من المؤكد أن الشباب يطلعون عليه بين الحين و الآخر (52% في دراستنا)، و في كثير من الأحيان (25%)، ولكن خلال المقابلات فإن إثارة الشعور باللذة في مشاهدة الصور كانت ترجع الى تلك الصور المطبوعة على الورق، في الألبوم وبالتحديد الصور التي تشاهد على شاشة الكمبيوتر، ولكن نادرا ما يتم ربطها بتلك الموجودة على شاشة الهاتف النقال. بالنسبة لرولان بارث: "الصورة نفسها ليست متحركة بأي شكل من الأشكال... لكنها تحركني وهذا ما تفعله كل مغامرة" (1980، ص 39)، و هذا انطلاقا من نقطة وخز أو لسعة الناتئ le punctum (البعد الرمزي المؤثر للصورة) هذا التفصيل الذي يستهدفني²¹. وهي على وجه التحديد قوة الامتداد المجازي لنقطة وخز le punctum التي ستعيد الوجود المادي للموضوع / الكائن حتى في الصورة. لكن دعنا نعترف بأن صور الهاتف المحمول تعاني من ضعف الجودة. إن بُعد الجودة المنخفضة هذا، يعود مثل

²⁰ مبيعات الالبومات الرقمية ارتفعت بشكل كبير في السنوات الأخيرة.

²¹ في مقابل studium (المنتشر) التي تشير إلى المعرفة، إلى الثقافة، فإن النقطة تشير إلى التأثير "لأن النقطة هي أيضا: وخز، ثقب صغير، بقعة صغيرة، قطع صغير، و رمي للنرد. ان نقطة الخبز في الصورة هي المصادفة التي توجهني فيها) ولكنها أيضا تكدمني و تمسك بي)، المرجع السابق ص 49. "ما يتخلل لمسات التصوير هو أنا المشاهد" (ماكميلان، 2008، ص 41)

فكرة مهيمنة في جميع المحادثات: إذا لم يتم مطلقاً تحديده بما هو تقني ولا بعدد عنصريات الصورة (البيكسل) فهي حبيسة الحس البسيط أو الفطرة السليمة، كما يقول أرنو Arnaud: "فقط وضعهم على الكمبيوتر لمعرفة الفرق". تثير كل من أمي فويدا و اليزابث ميناث Amy Voida et Elizabeth.D.Mynatt (2005) هذه الشكاوي (شكاوي الاستخدام) التي يواجهها المستخدمون المرتبطة بالتنوع الرديئة للصور التي تم التقاطها بهذه الطريقة. لهذا السبب نطرح فرضية أن الصور في الهاتف المحمول فيها نوع من الخل مما يؤدي إلى فشلها على مستوى نقطة الوخز لتتمكن من "أنا" المشاهد. تقول كنان Cannelle: "حسناً، بالنسبة لي الأمر مختلف تماماً لا توجد أي متعة في النظر إلى صورة تم التقاطها بهاتف محمول و القول "إنها جميلة جداً" بالنسبة لي لا، هذا غير ممكن لأنها ليست بجودة عالية سأشاهد و سأقول: "نعم أنا أفهم ما تريد قوله من خلال الصورة هناك، آه نعم أرى المكان الذي تسكن فيه" ولكن سأواجه صعوبة في القول "الصورة جميلة جداً" لن أقول ذلك أبداً (إعادة التشغيل: لماذا؟ ما الذي ينقص؟) حسناً من حيث الحجم ومن حيث اللون لا يوجد شيء بداخلي يُحدث طقطقة يجعلني أقول لنفسي: "واو. إنها جميلة جداً" على صورة الهاتف المحمول أبداً..."

النقر: تقدم لنا cannelle توضيحاً رائعاً لنقطة الوخز هذه التي تستهدفني والتي غالباً ما تفتقر إليها الصور على الهاتف النقال. من ناحية أخرى فإن دليل الوجود الذي يحيل إلى قوة أصالة الصورة لشرح أو "إظهار أننا كنا هناك" موجود بالفعل ويبدو كدافع أساسي يدفع 54% من الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 24 سنة (TNS Sofrès) لعرض الصور على أقرانهم، ولكن يبدو لنا أنها تتوافق مع المنتشر Studium الذي وصفه رولان بارث*. وإذا عرض الشباب صورهم، فإن هؤلاء الأقارب مع ذلك يمثلون حلقة صغيرة ولو كانت صغيرة جداً. بالإضافة إلى ذلك يزعمون في كثير من الأحيان بأنهم لا يستجيبون إلا لطلب "أريهم الصور إذا طلب مني ذلك": فهل سيكون هذا احتياطاً حذراً أمام ما يمكن اعتباره شكلاً من أشكال إخراج الحالات النفسية الداخلية إلى العلن (التخريرية l'extimité). ومع ذلك يبدو لنا في الوقت الحالي أنه غير متوافق مع ما اعتبرناه غزو الهواتف النقالية (بواسطة المحادثات الحميمية)، كموضوع اجتماعي جديد في الفضاء العمومي خلال سنوات 94-97 (مارتان 2008)، وفي استمرار هذا العرض/الإظهار للصور في المواقف وجها لوجه²² من الضروري الآن التطرق إلى تداولها عن بعد على مستوى الشبكات الاجتماعية التي تبدو للوهلة الأولى بعداً جديداً لهذه الصور الموجودة على الهاتف.

6.1. دوران الصور ومشاركتها:

تصف باربارا سيفو (2005) Barbara scifo رسائل الوسائط المتعددة MMS بأنها هدية²³. ومثل الرسائل القصيرة SMS فهي في الواقع غمزات صغيرة مليئة بالحنان يرسلها الشباب لبعضهم البعض تعمل على إعادة

²² يوضح جوليان موريل ومارك ريليو (2007) كيف يمكن لعرض هذه الصور على النقال للمشاهدة أن يصبح حافزاً في المحادثات (بعد أخذ أحدهم للهاتف النقال للآخر من طاولة غرفة المعيشة لإلقاء نظرة على صورته)

²³ يستحق مفهوم التبرع هذا تعميقه في الأبحاث المقبلة.
*لفهم أكثر باللغة العربية لفكرة Punctum و Studium عند رولان بارث يمكن الإطلاع على مقال "الناتئ و المنتشر" على الموقع الإلكتروني:

<https://bit.ly/3qROQ2w> (المترجم)

تأكيد الرابط من خلال تذكر ماضي مشترك وتسمح بنقل المشاعر في نفس اللحظة التي يتم الشعور بها بطريقة فورية، وهذا من شأنه أن يعطي هذه الصور وظيفة التواصل وتمثيل الواقع في الوقت الحاضر (ريفير rivière 2006) هذا بالتحديد ماتثيره أنجليك Angélique بكل دقة:

"على سبيل المثال، كان لي هديان مع ابن عمي على اللبخ (ficus) لأن عمتي لديها واحدة في المنزل كنا نحبها وكان هناك ملصق صغير كتب عليه اللبخ إلى الأبد، لقد وجدنا أن الجملة مضحكة فقمنا بمسح ضوئي للملصق ووضعناه على سيارتنا، وقد كانت تقريبا شعارنا، بعد بضعة أشهر أجريت تدريبا لفترة في المجلس الإقليمي، وكان هناك لبخة في المكتب، لذلك التقطت صورة لها وأرسلتها إليه، كانت من أجل الهديان بل لقد كانت تذكيرا."

حيث يمكننا أن نرى جيدا هذا التواطؤ الذي يقال من خلال لغة شبه مشفرة، ولكن لاتزال هناك عوائق اقتصادية تحد من مثل هذه التبادلات. إن ريشارد لينغ Richard ling (2008) يؤكد ان سعر هذه الخدمة يشكل حاجزا ذو دلالة أمام الاستخدام المعمم²⁴، وان رسائل الوسائط المتعددة MMS تمثل بديلا ضعيفا (a poor alternative)، و لا يستخدمها الشباب إلا عندما تكون هناك حاجة فورية. من جانبه يصف ديسكو أوكابي Daisuke Okabe (2004) نوعا ثانيا من الاستخدام لصور الهاتف المحمول الذي يسميه التشارك الحميمي ((Intimate sharing الذي يخلق شعورا بالتواجد المشترك (distributed copresence) مع الأصدقاء المقربين والخليلات والخلان والعائلات غير المشاركين بحضورهم. لا يسعنا إلا أن نتفق، ومع ذلك لاحظنا بان الصور غالبا ما يتم تشاركها في المواقف التي تحصل وجها لوجه، بواسطة البلوتوث وبدا لنا أن التي مصدرها آلة التصوير الرقمية APN يتم تداولها أكثر بشكل مكثف. وانطلاقا من الكمبيوتر الذي يظل مركزيا، يُعقد تشابك حقيقي للوسائط سواء من خلال البريد الإلكتروني أو المدونات أو حتى من خلال مواقع التشارك على الإنترنت إنها مسألة بالنسبة للشباب مشاركة صور اللحظات التي تشاركوها بالفعل مع بعضهم البعض (مرة أخرى البعد الدلالي للصورة)، على سبيل المثال حفلة، عطلة، كما توضح ذلك شارلين:

"خلال العطلة في إيطاليا العام الماضي (زوجان من الأصدقاء) جمعنا 1000 صورة، لذلك صحيح أننا نمتلك في الواقع نفس الصور سنقوم أربعتنا بالتصوير في نفس الوقت، ومن نفس الزاوية غالبا، فبرج بيزا ضعيف نوعا ما، لكن تخزينه لا يتطلب مساحة ولا يكلف شيئا."

وهنا في نظرنا يلعب التأثير الرقمي مفعوله، لأنه يتعلق بتكديس كل شيء وامتلاك كل شيء (راجع أعلاه: التخزين المفرط لا يكلف شيئا)، معرفة الكل بدون استثناء للصور الملتقطة من طرف مختلف المشاركين (بألة التصوير الرقمية APN) في هذا الحدث. وباختصار وبعد الكشف عن هذه اللحظات المختلفة من فعل التصوير الفوتوغرافي، لا يزال من الصعب للغاية إغلاق مسألة خصوصية أو عدم خصوصية استخدامات الصورة

²⁴ في الواقع لم تكن الـ MMS لها مداخيل حيث تم إرسال 283 مليون رسالة فقط في عام 2007 مقارنة بـ 18.7 مليار رسالة نصية SMS، و بعبارة أخرى استحوذت رسائل الوسائط المتعددة MMS على 1.5% مما يعرف بالرسائل الشخصية (SMS+MMS). هذه الإحصاءات الوطنية متوفرة على موقع www.arcep.fr

على الهواتف المحمولة، لكن لنواصل التحليل بوضع الصور على الهاتف المحمول وآلة التصوير الرقمية، ونقارن ماذا فعل الشباب أنفسهم لإظهار عقلنة حقيقية للاستخدام في الواقع.

2. عقلنة حقيقية للاستخدام:

بادئ ذي بدء، ظهر عند المبحوثين بشكل حافل خطاب متكرر له مغزى، لأن الأغلبية منهم قالوا بأنهم استخدموا الهاتف النقال لالتقاط الصور " إذا لم تكن معي آلة التصوير الرقمية " لتجاوز التعطل" فالأسباب عديدة (نسيان آلة التصوير الرقمية، الخوف من تعرضها للسرقة بالخارج، الخوف من كسرها، فقدانها... إلخ". في الواقع كل شيء يحدث كما لو أنه تم استخدام الهاتف النقال بشكل افتراضي²⁵. إن فكرة الهرشية تتخلل جميع المحادثات و يمكن التساؤل مع جوال مانراث وآن جاريجون (2007) Joëlle Menrath et Anne Jarrigeon إن لم تكن هذه الصور على الهاتف المحمول ذات قيمة دنيا، ولكن لماذا إذن؟ هل ستكون أقل استحفاقا لتتضم إلى نظام الصور؟ أم ستحصل على وضع آخر كما ذكرنا ذلك سابقا مع فرضية صورة مهملة/صورة يمكن رميها؟ هذا السؤال لم يتوقف عن مفاجأتنا لأننا لم نشهد مثل هذا الخطاب حول استخدامات الصوت والرسائل القصيرة في الهاتف النقال: الكل يؤكد على الفائدة، ومزايا تمكّن الوصول للآخرين وتمكنهم من الوصول إليك في جميع الأوقات. في الحقيقة يبدو أن الجميع يضع عقلانية حقيقية للاستخدام بين الأجهزة المتاحة التي تستهدف تحديد توجه معين للممارسة، يستنتج من التحليل الشخصي لمجموعة المعايير المذكورة أعلاه: أولا وقبل كل شيء، جودة الصور وفقا لما تريد فعله بها (الاحتفاظ بها على جهاز الكمبيوتر أو لا)، و لكن أيضا العوائق المادية المرتبطة بالموضوع (حجم ال APN وإمكانية أو عدم إمكانية أخذها معك دائما)²⁶، العوائق التقنية (توافق التنسيقات)، العوائق الاقتصادية (البريد الإلكتروني المجاني في مقابل تكلفة ال MMS، القيمة الاقتصادية للهاتف مقابل مثلتها بالنسبة ل APN)، إلخ. وهذا التحكيم ليس مطلقا، بل العكس من ذلك يعد نسبيا تماما لأنه تم بشكل دائم، بمعنى أنه يتطور بشكل دائم حسب الأجهزة المتاحة الأخرى مما يؤدي إلى إعادة فحص المعايير كما تعرب عن ذلك لوريان: " إن وظيفة الجهاز المحمول تتغير وفقا للجهاز المرافق له". لنلخص قصتها: لقد أعطاهم والداها كاميرا رقمية في عيد الميلاد، إنها تستخدمها على الرغم من أنها تصفها اليوم بأنها " ليست رائعة، عندما لا تكون هناك إضاءة كافية تكون الصور فظيعة" ولكنها لازالت " أفضل من الهاتف النقال الذي كنت أملكه ذلك الوقت وهو أول هاتف نقال يلتقط الصور". كما أنها عندما تم بتغيير هاتفها النقال تأخذ في حسابها معيار الصورة عند شرائه ومن ثمة تستخدمه (الذي مازال لديها وقت إجراء الاستطلاع) لالتقاط الصور حيث تتخلى إلى حد ما عن الكاميرا الرقمية APN، ثم جاء زمن دخولها الجامعة وهو زمن مهم في حياتها لأنها ستعرف صداقات جديدة مهمة بالنسبة لها (أنظر " صور وجبات نهاية السنة الجامعية" أو " الإضرابات" لحظات قوية لدخولها الحياة الطلابية إلخ)، ولكن على وجه الخصوص لقاءها مع " حبيبها" في الحرم الجامعي، و هو اللقاء الذي تريد تخليده لأن واحدة من صورها المفضلة على الهاتف

²⁵ للتذكير فإن أكثر من ثلثين من 252 مجيب على الاستمارة يملك آلة تصوير رقمية APN.

²⁶ يمكن أن تصبح كاميرا التصوير الرقمية صغيرة الحجم أشياء لصيقة بالجسم.

النقال لم تكن سوى " أول عطلة نهاية أسبوع رومانسية مع حبيبي في ديزني لاند". عندها كانت لها فكرة تقديم كاميرا رقمية APN لصديقها التي تلتقط بالطبع صوراً أفضل من هاتفه النقال الحالي، وسرعان ما اتضح أنها ستصبح المستخدم الرئيسي للكاميرا الرقمية " لحبيبها" فلا تنسى تذكيره بحملها كلما ذهباً إلى حفلة. إنها تعترف باستخدامها أقل فأقل لهاتفها النقال لأسباب فنية بشكل أساسي متعلقة بالتأثير على جودة الصورة: "المشكلة هي أن الهاتف النقال له زمن ردة فعل حيث يستغرق 5 ثوانٍ لاستقرار الصورة. لذلك من الصعب الحصول على صورة واضحة".

بعد أن فهم والداها الرسالة أخيراً (إنها لا تستخدم أبداً الكاميرا الرقمية APN التي قدمها لها في تلك الفترة) فقاما بإعطائها أخرى جديدة في عيد الميلاد الأخير، من الواضح أنها أفضل شيء تمتلكه لحد الآن. ويمكن تخيل بسهولة أنها تخلت عن جميع الأجهزة الأخرى ولا تستخدم غير هذه " لذا فأنا الآن أحملها معي دائماً " وقد أصبحت موضوعاً مدججاً حقيقياً، تهدف هذه الحالة الخاصة إلى توضيح كيف توضع موضع التنفيذ عقلنة الاستخدامات التي لا يمكن فهمها إلا في ضوء الأجهزة الأخرى المتاحة، ولكن أيضاً في ضوء تاريخ الاستخدام الفردي. يمكننا أن نضيف أن قواعد الاستخدام هذه يمكن أيضاً أن توضع وتعمل على مستوى مجموعة الأصدقاء. دعونا نستمع إلى لوسيل التي لا تملك كاميرا رقمية APN خاصة بها تشرح لماذا في موقف معين لم يكن لديها رد الفعل لاستخدام هاتفها النقال: " ليس لدي رد فعل منعكس لـ (أصدقاء في حفلة) للتمكن منهم بالهاتف النقال ثم بالعدسة الصغيرة، يجب أن تبعد كثيراً لكي يكون الجميع في الصورة... حسناً منذ وقت ليس ببعيد أمضيت سهرة مع جميع طلبة الدفعة، ولم أفكر في إخراج الهاتف النقال من أجل صورة (تعيد: لماذا؟) البعض لديهم كاميراتهم الرقمية، ولهم رد فعل منعكس في كل وقت لأخذه معهم وللتقاط الصور، لأننا نقول إنهم سيمررونها لنا فنحن من جانبنا لم نلتقط أي صور".

حيث نرى أن قواعد الاستخدام هذه تجد ما يبرر وقوعها في أغلب الأحيان في مشاكل تقنية متعلقة بجودة الصورة الملتقطة بواسطة الهواتف المحمولة لاسيما عندما تتوافر نية حفظها للاحتفاظ بذكرى أمسية تم قضاءها سوياً. ولذلك فإن الصور الملتقطة بواسطة APN هي التي ستصبح في المقدمة ويتم تداولها كما سيتم تبادلها ومشاركتها على مستوى مجموعة الأصدقاء بأكملها. وبالتالي فإن عقلانية الاستخدام هذه تذهب إلى حد أن تأخذ في الاعتبار عناصر ظرفية وسياقية مرتبطة بتوافر الأجهزة الأخرى (بكل خصائصها) داخل شبكة التواصل الاجتماعي. قبل أن نختتم يبقى التعرض بإيجاز لمقاطع الفيديو: لماذا نخصص لهم مكاناً خاصاً؟ لأنه على عكس " الصورة التي توقف الحركة" (دوبوا، 1990، ص 173) (أنظر أعلاه مفهوم القصة)، فإن الفيديو مثل السينما يغرق في الحركة ويفتح على السردية. وهنا بالضبط ما كان يبدو لنا حداثة أكثر تظهر في الاستخدامات.

3. الفيديو: الإخراج الفني للذات؟

وفقاً لـ TNS Sofrès، فإن ما يقرب من 43 ٪ من الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 24 عاماً يصورون مقاطع فيديو بموافقتهم المحمولة. وفي عينتنا المكونة من 252 طالباً، 73٪ يقومون بذلك. وفي

الاستطلاع الكيفي، يقول البعض إنهم أحبوا الفيديو لأنه أكثر حيوية مقارنة بالصورة الثابتة. دعونا نستمع إلى فلوريان: "نحن نرى الحقيقة، الحدث الذي حدث بالفعل من قبل ومن بعد عندما تجمد الصورة. لأننا يمكن أن نجعل الفيديو يستمر لبضع دقائق و بالتالي لا نفقد شيئاً من اللحظة التي نحن بصدد قضائها... الفيديو أكثر حيوية فهو يمكن من عيش الذكرى مرة أخرى و الاقتراب منها أكثر.

إن إشكالية تخليد الذكرى حاضرة تماماً أيضاً كما في الصورة، و لكن يبدو أن الحركة و المدة و يضيف آخرون إليهما الصوت و الكلام، هي التي تعطي هذا البعد الحي، " أكثر تعبيراً" (Romain)، الذي " ينقل أكثر ما هو عاطفي" (Nadia). ويمكننا " رؤية الواقع" (Émeline)، وهو ليس لا شيء، وهكذا يقترب " قدر الإمكان" من الذكرى (Josselin). ونبرة الصوت مفرحة تقريبا مما يترجم حماس الشباب للفيديو. وقد لوحظ بالفعل بعد الضحك والفكاهة في الصورة وهذا جوهرى تماماً في تكوين هذه المراحل من الحياة، من جهة أخرى، تقام غالباً أمسيات بين الأصدقاء في نسخة " هذيان بين الأصدقاء": "مضحك للغاية، الجميع يغني، لقد كان لدينا جميعاً ضربة صغيرة في الأنف (كارولين). صديق محمور تماماً يسقط من كرسيه يبكي من الضحك" (إميليان).

يمكننا أيضاً تضمين مقاطع فيديو تروي المآثر تتضمن بالطبع بعد المخاطرة²⁷، من جهة أخرى يوجد إخراج حقيقي للفيديوهات التي غالباً ما تظهر كارتجاليات وهي في معظم الأحيان عبارة عن سكاتشات حيث بُعد المحاكاة الساخرة له مغزى.

" التقرير عن الحيوان الذي قمت به في جزيرة سولسي (الحرم الجامعي) حول موضوع تزواج البط، مشهد غير متوافق تم التقاطه على أساس أنه يستحق مقطع فيديو مع تعاليق صغيرة بأسلوب نيكولاس هولو."

بالإضافة إلى ذلك، غالباً ما يكون الشباب هم أنفسهم أصحاب مصلحة، وموضوع / هدف في هذه المشاهد، فهل سيُكون هذا " مشاهد للذات للاستمرارية في تلفزيون الواقع" (ريفير، 2006، ص 132)؟ قد تبدو المقارنة مفرطة، وسيكون من الضروري ملاحظة تطور هذا الاتجاه. ومع ذلك، بعد إثارة هذه الأبعاد الجديدة للفيديو، نود أن نتذكر بعض الحدود التي لا تزال قائمة، شاهدة هنا على مسار متواصل. من جهة هذه الفيديوهات المنجزة تعتبر قليلة، وقد تم تأكيد هذا الاتجاه من خلال المسح الذي قامت به TNS Sofrès لأن نصف أولئك الذين توجد في هواتفهم المحمولة مقاطع فيديو لديهم فقط أقل من 5. ومن جهة أخرى فمقاطع الفيديو التي تم إنجازها باستخدام هذا الجهاز لا يتم تداولها كثيراً. إن البعد التقني يفرض نفسه مراراً وتكراراً، معيقاً كما هو الحال مع الصور: كذلك هو الحال مع مقاطع فيديو الحفلات الموسيقية الأكثر طلباً للتداول على يوتيوب ودائلي موسيون نادراً ما تكون حسب المبحوثين ملتقطة بواسطة النقال لاعتبارات... جودة الصوت²⁸

²⁷ entre jackass et le happy slapping, un effacement de la honte, adolescences, 2007, n61, 3. Mais on est encore loin, dans notre échantillon, du happy slapping "

²⁸ وفي الحالات القليلة التي يتم فيها ذلك، بالطبع، سيتم عرض مقاطع الفيديو هذه، مثل الصور، على دائرة محصورة من الأصدقاء ليقول "كنت هناك"، راجع. أعلاه.

خلاصة القول، إذا كان استخدام الصورة على الهاتف النقال كثيف بين الشباب، فيجب ألا يغيب عن بالنا أننا نشهد وضع مسار طويل موضع الإنشاء الذي هو تكون الاستخدامات. لهذا السبب سنتجنب الاستنتاج المتسرع حول خصوصية حقيقية لمثل هذه الاستخدامات. لقد تحدث كل من كورفينن و كوسكينن Kurvinen و Koskinen في إحدى الدراسات الأولى التي نشرت في عام 2002، حول الصور المرئية على الهاتف المحمول عن "إعادة إنتاج الممارسات التقليدية". لقد لاحظ كل من Amy Vaida et Elizabeth D. Mynatt (2005) وجود قوى القصور الذاتي "inertial forces" في استخدام الصورة على الهاتف النقال لأن المشاركين في الاستبيان الذي قاموا به ذكروا بشكل عام أنهم يريدون تصوير نفس نوع الصور لتلك التي التقطوها دائما²⁹. بينما خلص Daisuke Okabe (2004) إلى أن وظيفة التصوير تغيرت بإدماج خصائص الهاتف النقال، وهي تلك الموجودة بجهاز "شخصي، محمول، مَشَاء"³⁰. ومن البحث الذي أجريناه، يتضح أن تلك الصور على الهاتف النقال ليست كلها تلقائية ولا ملتقطة في الحال كما قد يعتقد للوهلة الأولى، إنها تخفي في كثير من الأحيان نفس إشكالية الذكرى وهي الأثر. بالطبع مما لا شك فيه أنه لا يمكن إنكار أن الموضوعات تركز أكثر على المؤانسات الودية بين الشباب، بما في ذلك الأهداف التواصلية في الوقت الحاضر، ولكن الأسرة ليست بالضرورة غائبة. من المهم جدا أن تكون هذه الصور معك في الهاتف المحمول، ولكن متعة رؤيتها تكون أقل نظرا لأنها تظهر عيبا على مستوى نقطة وخز الناتي(Punctum)، وأخيرا فإن تداولها يكون أقل كثافة من الصور التي تم التقاطها باستخدام كاميرا التصوير الرقمية (APN) لاسيما أنها تكتسب أحيانا حالة الصور الغير دائمة تماما، بل والمؤقتة، حيث يبدو أن عمرها الافتراضي مرتبط بعمر الأداة. لذلك يبدو واضحا أن نؤكد أننا نشهد تحولا وتطورا للوظيفة الاجتماعية للصورة يعود إلى تدنيسها، ولكن يبدو أن هذا التهوين ناتج عن تأثير التكنولوجيا الرقمية أكثر منه من تأثير جهاز الهاتف النقال وحده. ومهما يكن سيكون من السهل الحديث عن سلسلة متصلة تلعب بها لعبة، من أوجه التشابه أو الاختلاف في مختلف لحظات فعل التصوير الفوتوغرافي من الهاتف المحمول إلى آلة التصوير الرقمية. تتشكل مجموعة من التوترات الديالكتيكية بين استمرارية معينة لاستخدامات النقال وآلة التصوير الرقمية من جهة ومن جهة أخرى نوع معين من التخصص حسب الأداة المستخدمة: في الواقع هناك اتجاه بدأ يتحدد إما من جهة أن آلة التصوير الرقمية أصبحت شيئا استبقنا استخدامه للسهرات والأحداث الاجتماعية التي تعتبر مهمة (بما في ذلك الصور العاطفية)، ومن جهة أخرى حيث يكون النقال أكثر محجوزا مدى الحياة في جميع الأيام وهو ما يفسر قيمته المنخفضة. في هذا الصدد فإن فرضية صورة مهملة/صورة يمكن رميها تحتاج إلى مزيد من الاستكشاف في بحث آخر ويبدو أن الخصائص الأكثر جودة والأكثر تحديدا لهذه الصور توجد بجانب مقاطع الفيديو، لكن من المهم تحديد أن الخطابات تظل غارقة في التناقضات الناتجة عن هذه العملية المتواصلة التي هي تكوّن الاستخدامات. لهذا سيكون من المثير للاهتمام تكوين مجموعة شاملة للصور الملتقطة/المخزنة في الهاتف النقال. و أخيرا يمكن لبحث آخر أن يسمح بالتطرق

²⁹ ما يقرب من ثلثي صور المبحوثين كانت مواضيعها "ثقافة كوداك" الكلاسيكية.

³⁰ راجع إيتو، م، أوكابي د. (2005)، شخصي، محمول، مَشَاء: الهواتف المحمولة في الحياة اليابانية، كامبريدج، مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا.

إلى التصوير الصحفي الهاوي.³¹ (عدد من مواقع الأنترنت لوسائل إعلام صحفية وتلفزيونية كبيرة تنشر إعلانات لطلب الصور من الهواة حيث يتم إنشاء وكالات ووسطاء جدد لجمع هذه الصور اللحظية من الشهود العيان للأحداث وإعادة بيعها لوسائل الإعلام... إلخ)، ولكن اتضح أن الأشخاص الذين أجرينا معهم البحث، ركزوا على استخداماتهم اليومية، ولم يتعرضوا لمثل هذه الاستخدامات من تلقاء أنفسهم أبدا.

أخيرا وللختام يبدو أن البعد التقني لهذه الأداة (على الأقل ترجمتها، يُدرك من طرف المستخدمين فقط من حيث جودة الصورة) يظهر مهما هنا كعنصر مؤثر بصورة مباشرة على ممارسة استخدامات التصوير هذه، على الرغم من أنها ظلت نسبيا ثانوية في استخدامات الصوت/ الرسائل القصيرة SMS للهاتف النقال ومن جانب الصورة هناك شيء يقاوم، و الذي يسمح لنا في الوقت الحالي بأخذ بعض التحفظات المتعلقة بالهاتف النقال كأداة فريدة من نوعها لها وزنها بالنسبة للمصنعين و المتعاملين إن الهاتف النقال لازال شيئا يستخدم قبل كل شيء لإجراء مكالمات هاتفية و إرسال رسائل قصيرة إن Ferraris Maurizio (2006) في " أين أنت؟" أنطولوجيا الهاتف النقال، يحاول التنبؤ بالمستقبل فيما يراه في الهاتف النقال، الجهاز الوحيد الذي هو في نفس الوقت يد و صفيحة، الشعاع المطلق الذي يكرس عودة الكلمة المكتوبة وبالتالي وظيفة التسجيل الضرورية لكل مجتمع إنساني: لكن لنتركه يتحمل مسؤولية هذه النبوءة...

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/167622>

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/490>

³¹ موضوع بحث قيد الدراسة.